حقـــــوق المرأة

للأستاذ على عبد الله

يخيل إليّ أن الذين يطالبون بحقوق المرأة ... ويريدون لها أن تشترك فى السياسة ، وتعطى صوتها فى الانتخابات النيابية ، إنما يتآمرون عليها ويعملون على تضييع حقوقها ، وإفسادها بإخراجها عن طبيعتها ووظيفتها التى خلقت لها

لأن الله خلق المرأة لتكون أنثى ، وجعل وظيفة الأنوثة من أهم وظائف الحياة ، وأتاح للمرأة أن تبدع فيها وتنتج ماشاء لها الإبداع والإنتاج ؛ وهيأ لها كل فرصة للبلوغ بهذه الأنوثة إلى قمة المجد والعظمة

ولذا كان كل تصرف أو عمل يراد به إبعاد المرأة عن عملها ، وإخراجها عن دائرة اختصاصها ، وإشراكها مع الرجل فيما هو من عمل الرجولة محاولة طائشة ليست من مصلحة المرأة فى شىء

إنهم يطالبون مساواة المرأة بالرجل ! ! فإذا فرضنا أن هذه المساواة قد تمت ؛ بل لنفرض أن المرأة قد أصبحت رجلا بالفعل !! فهل تكون أسعد حظاً وأكبر شأناً أو أعظم منزلة مما هى الآن ؟

ما أظن ذلك أبداً ، وما زالت المرأة فى نظرى تعتز بجمال الأنوثة ، وتباهى بالطرف الكحيل ، والخد الأسيل ، والخصر النحيل ، ولو أنك شبهت امرأة برجل مرة واحدة لاعتبرت ذلك إهانة لها وتجريحاً لجمالها ! !

ولعل الذين يطالبون بمساواة النساء بالرجال لايدرون أن من الخير للمرأة أن تبقى كما هى وألا تؤدى من الأعمال إلا مايتفق مع رقة الأنوثة وسحر النساء ، وأنها فى أنوثتها أفضل ألف مرة مما لو كانت قريبة من الرجولة

ولا شك أن طلب النساء المساواة بالرجال كطلب الرجال المساواة بالنساء ، فإذا أمكن أن يستقيم هذا المنطق مع منهاج الحياة الاجتماعية أمكن للمطالبين بحقوق المرأة أن يحققوا مطالبهم ! !

إننى أعتقد أن المرأة ليست فى حاجة إلى شىء من الحقوق حتى تطالب به ! فهى فيما أرى متمتعة بكافة الحقوق التى منحتها إياها الطبيعة والشريعة ، وهى مساوية لحقوق الرجل تماماً ، وكل مافى الأمر أن هذه الحقوق تختلف باختلاف الجنسين ، وقد فرض الله لكل منهما ما يتفق مع فطرته وقدرته وخلقته ، وبذلك يمكن النظر إلى ما للرجل وما للمرأة عن طريق الموازنة والتعادل ، لا عن طريق المساواة وتوحيد الأعمال ، لأن هذا يفسد نظام المجتمع ويضع الأمر فى يد غير أهله ، وقد يسر الله كل جنس لما خلق له

وبشىء من الموازنة بين ما قررته الشريعة للنساء وللرجال نجد المرأة فى الكفة الراجحة ، ونرى أنها حين تطالب المساواة بالرجل تنزل عن شىء كثير من امتيازاتها

هذا عقد الزواج الذى يجمع بين المرأة والرجل ، يلتزم فيه الرجل بالمهر والنفقة بجميع أنواعها : نفقة المسكن والغذاء والكساء وما يتبعها من ملحقات ، وهو مع ذلك كله لايعطى الرجل أكثر من حق الاستمتاع بالمرأة استمتاعاً عاطفياً بحتاً مجرداً عن الماديات والخدمة والتسخير

وقد حددت الشريعة هذا المعنى بنص الآية الكريمة (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة إنّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

وإذاً فالعلاقة بين الزوجين يجب أن تقوم على أساس سكون النفس وارتياحها واطمئنانها ورضاها ، ولن يتأتى هذا السكون إلا بتجاوب الشعور ، وتبادل العاطفة وتقارب الثقافة وتكافؤ التربية . وأضافت الشريعة إلى هذا كله وجوب توفر المودة والرحمة ، وكلها صفات عاطفية مجردة عن النفعة والانتفاع ، وهذا نوع عجيب من السمو رفع المرأة إلى أرقى المراتب ووضع العلاقة الزوجية فى أسمى الدرجات

لقد كانت المرأة فى الجاهلية تباع وتشرى ، وتكره على الزواج والبغاء ، وتورث ولا ترث ، وتمنع من التصرف فى مالها ، وكان قدماء الرومان يشكون فى أنها إنسانة ويعتقدون أنها حيوان نجس لم يخلق إلا للخدمة ، وكان بعضهم يغالى فى اتقاء شرها ويرى تكميم فمها لمنعها عن الكلام كالكلب العقور أو الجمل المعضوض ! ! وأغرب من هذا أنه كان يباح للوالد ذبح ابنته أو دفنها فى التراب وهى على قيد الحياة دون أن يؤخذ بجزاء أو قصاص (وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم

يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أبسكه على هُون أم يدسه في التراب ألا ساءَ ما يحكمون) وكانوا يقولون في مأثور الحكم (دفن البنات من المكرمات) ومن أغرب ما يرويه لنا التاريخ عن فرنسا التي وضعت دستور الحرية للعالم ... أنها لم تقرر أن المرأة إنسانة إلا سنة ١٥٨٦ ، أما الإسلام فقد نسخ هذه الأوضاع وساوى بين الرجل والمرأة بقوله : (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلقَ منها زوجها) (من عملَ صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينهُ حياةً طيبة) (يأيها النبي إذا جاءكَ المؤمنات يُبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهنَّ ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن فبايعهنَّ واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم) (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف . وللرجال عليهن درجة)

هذه الآيات الكريمة تبين لنا بمنتهى الوضوح أن المرأة لها مثل ما للرجل من الحقوق في القيمة لا في النوع ، وليس للرجل عليها غير درجة واحدة ، هي حق الرعاية والحماية والولاية ، وهو حق تقرره طبيعة الحياة ، إذ لا بد لكل أسرة من راع يتولى أمرها ويحمل المسئولية عنها ، والرجل في هذا المقام أولى بالرعاية لأنه صاحب الفضل والجهد والنفقة والمسئولية

(الرجال قوامون على النساء بما فضلَ الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)

حتى هذه الدرجة التي جعلها الله للرجل على المرأة ، لم يشأ أن يجعلها خالصة له بدون عوض ، فكلفه بالسعي وأعطاه حق القيادة ، وألزمه النفقة ، وخصه بالولاية والقوامة ، وجعل له الضعف في الميراث وحمَّلهُ تكاليف المهر والإنفاق ، فتعادلت الكفتان ، وعرف كل فريق حقه ، ولم يعد لأحدهما أن يبغي على الآخر

وإذاً فما بال المرأة تحاول العدوان على الرجل وتريد أن تسلبه وظيفته وتزاحمه فيما هو من شأنه ؟ ! وهل هي بهذه المساواة التي تطلبها تريد أن تشترك في الإنفاق ودفع الصداق ، والكفاح في الحياة من أجل مطالب الأسرة ؟ أم أنها تريد الاشتراك في التشريع والحكم والنيابة دون أن تشترك في الأعباء والتكاليف ! !

وهبها استطاعت أن تحاكي الرجل في كل شيء ، وتشاركه في كل أمر ، فهل تعتقد أن هذا يحقق لها المساواة ؟ وهل في استطاعتها أيضاً أن تحمل الرجل يحمل ويلد ويرضع أم تقف عاجزة أمام هذه الفوارق الطبيعية التي لا حيلة لأحد فيها ؟ !

وإذا فرضنا أننا أعطينا المرأة حق التصويت في البرلمان ، فسيتبع هذا إعطاؤها حق النيابة ، وحين يصبح النساء أغلبية في المجلس تقضي التقاليد البرلمانية بتأليف الوزارة منهن ، وليس ببعيد أن نرى في مصر بعد تنفيذ هذا الاقتراح وزارة من الجنس اللطيف !

وأنا مطمئن إلى أنه سيكون من أول ما تقرره هذه الوزارة اللطيفة ... إلغاء الضرائب المفروضة على الوارد من أدوات التجميل والجوارب (النايلون) وأقلام الشفاه الحمر وزجاجات العطور ، وأصباغ الأظافر ، وإنشاء المعاهد العالية لابتكار الأزياء وخياطة الملابس وابتداع أنواع من الأحذية تزيد الأقدام جاذبية وإغراء ولا ريب أن وجود النساء في البرلمان يجعل لهن حق التشريع ووجودهن في الوزارة يعطيهن سلطة التنفيذ وبذلك تنعكس الآية وتكون النساء قوامات على الرجال

ألا ليت الذين يتعلقون بهذا الخيال يعلمون أن العالم في حاجة إلى الأنوثة كما هو في حاجة إلى الرجولة ، وأن لكل منهما اختصاصاً فرضته الطبيعة على الجنسين ؛ فمحاولة خلط عمل النساء بعمل الرجال محاولة طائشة تؤدي إلى انهيار النظام الاجتماعي وفساد الأسرة وخراب البيت !

والبيت مملكة قائمة بذاتها تحتاج إلى مجموعة كبيرة من القوى والجهود لتنظيمه وتدبيره ، وتوزيع الزمن والجهد والثروة على ما تتطلبه من متاعب الحمل والرضاع والتمريض ومشاكل الطهي والنظافة والتدبير وشواغل التعليم والتربية والتوجيه والتوفيق بين رغبات الأطفال ، ومشاكل العيال ، وحقوق رب البيت في الراحة والسكون والمتاع والاستجمام

هذا هو عمل المرأة في البيت وهو عمل ليس هيناً ولا سهلاً ، فإذا أرادت أن تخدم وطنها فهذا هو السبيل الصحيح ، وإذا شاءت أن ترفع الأنوثة إلى ذروة المجد وقمة العظمة ، فليكن ذلك من طريق الإبداع في تنظيم البيت وتحويل هذه المملكة الصغيرة إلى جنة وارفة الظلال ، مخضرة العشب يجد الأطفال فيها حنان الأمومة وجمال العطف ويشعر الزوج في ظلها ببرد الراحة ، ونعيم العافية وصفو العيش الرغيد ! !

(المنصورة) علي عبد الله